Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومما ينبغي مراعاته في هذا المقام أن الفقه الإسلامي قد مر بمراحل يمر بها الكائن الحي وهي عصر النشأة وعصر الشباب، وعصر النضج والكمال وأخيراً عصر التقليد.

وفي عصر التقليد التزم الفقهاء والمفسرون مذاهب أئمتهم وتعصبوا لها بل حملوا القرآن عليها وفهموه في ضوئها، فانتقد الإمام محمد عبده وتلميذه رشيد رضا هذه التفاسير التي تقدم آراء المذاهب على كتاب الله، وبينا أن القرآن إمام غير مأموم وأصل وما عداه تبع له.

الأساس الرابع: محاربة التقليد والجمود:

(أ) لقد ذم الإمام التقليد في تفكير المسلم المتأخر وأوجب الرجوع إلى فهم المسلمين الأولين للقرآن.

ووجد أن آيات القرآن الكريم حافلة بالدعوة إلى استخدام العقل والفكر وحث الإنسان على التأمل والنظر والاستنباط. كما ذم القرآن تقليد السابقين تقليدا أعمى لا تدبر فيه. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٧٠).

فالتقليد المذكور في هذه الآية قبيح مذموم، وقريب من هذا النوع عند الإمام، تقليد العلماء الذين يصرحون بأنهم مقلدون لا يلزمهم النظر في الكتاب والسنة بل يعتمدون على ما كتب غيرهم في الفقه ويدينون لكتب المتقدمين على تعارضها وتناقضها ويكتفون بقولهم: وكلهم من رسول ملتمس.

وفي تفسير الإمام لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ١١١)، نراه يستدل بآخر هذه الآية على أن «القرآن علم أهله أن يطالبوا الناس بالحجة، لأنه أقامهم على سواء المحجة. وجدير بصاحب اليقين أن يطالب خصمه به ويدعوه إليه. وعلى هذا درج سلف هذه الأمة الصالح، قالوا بالدليل، وطالبوا بالدليل ونهوا